جمودنا الفكري الراهن !

بقلم محيي الدين محمد

الجمهورية العربية المتحدة

الاقليم الجنوبي

وصل الادباء الكبار الى نهاية الخطر فاضطجعوا واستراحوا واغمضوا عيونهم ، فقد ادوا ما كان منتظرا منهم ، واوصلوا الامانة الى نهاية حدودها ... وبعد .. ففي هذه السن يحسن الاسترخاء والتنعم بذكرى الامجاد والغزوات القديمة ...

ووقف الادب الذي كان مرتكزا فوق كاهلهم مترنحا ومبلبلا ، ينتظر الكتف القوية التي يمكن ان تسنده ، وتثبت من قوائمه ، في هذه اللحظة التي نخوضها الان ، وهي لحظة الترنح التي تنتاب أدبنا الحديث ...

ان الاديب الجديد ينظر بفزع الى التركة القديمة التي عليه ان يخلصها من الشوائب والاكدار ، ويرفض ان يصدق ان جهده الشخصي هو امل التاريخ في فترة القلق هذه ، لان احداثا كثيرة وعراقيل اكثر تمنع جهده الشخصي ـ الذي هو عمله الفني ـ ان يبزغ الى النور بالصورة التي يراها هو صالحة له .. ولذلك طالت فترة تسليم الامانة من أيدي الكبار الى المحدثين ... وقال التاريخ الادبي ان في الامر يقينا لسوء فهم!!

الاديب الجديد يحس بانعدام الثقة ، ذلك لانه يقارن بين ثقافة العقاد مثلا او طه حسين الموسوعية الضخمة ، وبين ثقافته طرية العظام ، فيشعر بالدوار ، وهو يحاول ان يختصر المسافة ليسد الفراغ في يومين اثنين ، فهو يكتب للمسرح طالما هناك نقص في كتّاب المسرح ، وهو يكتب الرواية الطويلة لان الناشرين يفضلون ذلك ، وهو يكتب المقالة لان لها اجرا لدى مالك الصحيفة ... أما الكتابة من أجل الوضع الادبي فلم تطرأ فكرتها في ذهنه ..

ان عليه ان يأخذ مكانه سريعا .. ومن اجل ذلك نفاجأ احيانا في كل صباح برواية او مسرحية تكتل معنى الدمامة في مطلق تاريخ الفنون ..

تعدد مجالات الاطلاع ، وعدم التخصص من اسباب انعدام الثقة ، فثقافة الاديب الجديد يدمرها للنهاية فوضى الترجمة ، وفوضى اختياراته كمبتدىء ، فهو يقرأ كتب الاجتماع والديانات والفلسفات الشعوبية والمثالية وكيفية تنسيق الازهار !! وكل ما يقع تحت يديه من موجزات ومختصرات في كافة العلوم والفنون ، بدون نظام ، وبدون تبويب .. وبذلك يفقد وجهي الثقافة معا ، الموسوعة والاختصاصية .. ويفقد بالتالي القرين المصاحب للدراسة المنتظمة في كلا وجهي الثقافة ، وهو التعمق ..

والانهزامية الذهنية سبب آخر من أسباب انعدام الثقة ، ولا بد أيضا ان نضيف ان للتقابل والمقارنة دخلا كبيرا في رواج هذه الانهزامية الذهنية، فقد ترجمت لنا بعض دور النشر في لبنان وسوريا اعمالا ضخمة وممتازة جدا لكبار الكتاب الغربيين من مثل سقوط باريس لاهرنبورج ، والساعة الخامسة والعشرون لجيورجيو ، والحرب والسلام لتولستوي .. وهذا بالاضافة الى الاعمال الضخمة في لغاتها الاصلية او باللغات الفرعية الاخرى كالدون الهادىء لشولوخوف ، أو الولايات الامريكية المتحدة لجون دوس باسوس ... كل ذلك يوقع الاديب الجديد في مشكلة الضياع الذهني ، فهو يتصور الفارق الكمي ، فارقا درجيا على غاية من الاتساع بين المفكر الغربي ، وبينه كمفكر شرقي.

وقد ادت الانتفاضة السياسية التي نخوضها الان الى تحول معظم الكتاب المبدعين الى توعية الجمهور من الجانب السياسي ، ككتابة المقالات والابحاث السياسية ، ووجد الناقد كذلك ان دوره الاجتماعي اكبر من مجرد المتابعة الهادئة لمؤلف أو رواية ، فتخلص من ضرورة التفرغ للادب، وخاض حتى ركبتيه في التيار السياسي ، وهذا الوضع سليم بدرجة أقل مما لو كان الوضع معكوسا ، فالفن كالسياسة خاضع للظروف ذاتها التي تطور وتدفع ، وتغير ...

ان على الناقد مهمة الابقاء على الواقع الفني في ذروة المشكلات التي يبحثها ، وصحيح ان تعبئة الجهود ضد الاستعمار والقوى الغاصبة يتطلب ان نلتفت الى الجانب السياسي ، غير انه صحيح أيضا أن للفن في تعبئة الجهود دورا اخطر من دور المقالات السياسية المباشرة ..

ومنذ اختفاء (الكاتب المصري) ، المجلة القيمة ، تضخمت مشكلة طغيان السطحي والجنسي والمبتذل في مجلاتنا الادبية ، واصحابها يبررون ذلك بدعوى ان القارىء يطلب الالوان الرخيصة ويلح عليها ..

غير ان ذلك مضحك كقولنا : خذ هذه التفاحة الجميلة ، ولكن ... لا تأكلها !! فهم يعرفون هذه الالوان الرخيصة الى الجمهور ويحببونها اليه ، ويقدمونها له في تيار متصل من الاغراءات والميول ، ثم يدعون انهم يستجيبون فقط الى ميول هذا الجمهور !..

فالاديب الجديد يمتص هذه الالوان التي نكبت بها بعض مجلاتنا الادبية، ولا بد ان يخرج نتاجه الفكري متأثرا بتلك الالوان الميتة الضعيفة ، مما يسهم في ازدياد حدة الانهزامية الذهنية عنده .. وفي اللحظة التي يدرك فيها ضعف انتاجه بمقارنته بانتاج كتاب الغرب مثلا .. تحدث النكسة ، ويولي وجهه نحو العزلة .. واتعس انواع الضعف ، هو شعور الضعيف بانه ضعيف ولا حول له ..

مسئولية المفكرين

للارادة الشخصية دخل كبير في تكاسل الاديب الجديد ولا مبالاته ، وشعوره بلا اهمية العامل الفني في ايقاد عملية التطور والتقدم ، فلو

النشاط الثقافي في الوطن العربي

كان الامل على الاقل موجودا ، لامكن له ان يصمد بازاء الظروف والعوامل الاخرى ... غير ان ضبابا كثيفا يحجب الامل عن عينيه ، ضبابا مؤلفا من ظروفه المادية التعسة ، وعدم التفات الدولة الى انتاجه ، وقصر عينيه عن مشاهدة اثر عمله الفني في الجمهور ، وهذا ناتج عن قصر يديه في تغطية الجانب المالي من عملية النشر والطباعة ..

ومن اجل ذلك يتحول هذا الفنان الذي يختفي في داخله ربما ميترلنك او دوستويفسكي ، يتحول هذا الفنان الى اغراق نفسه في الوحدة .. والنتيجة لذلك هي خسارة احد المفكرين من الجانب الطيب ،وكسب احد الناقمين الى الجانب الخبيث !.. ومعظم الوان الادب التي يتقدم بها المفكر المنعزل ، مؤلمة وتعسة وخرافية ومترعة بالانين والعذاب ، مما يسهل ويبسط جدا مهمة النقاد في عملية التحليل (!) التي يقومون بها لرد هذه الظواهر الى العزلة ، والى الاثر الاقتصادي .. بل ان ذلك يسهل لهم التكهن بميقات حدوثها الوبائي!!

ان للعزلة آثارا ضارة جدا بالكاتب الابداعي ، فهو الذي يعيد تشكيل الحياة ، ونسجها .. كلاعب النرد الذي يجمع اوراق ويفرقها كل مرة بصورة تختلف عن الاخرى ، في حين يظل عدد الاوراق ، وعدد كل صورة ، ورقم .. هوهو ..!!

وهكذا الفنان .. من كل صور العالم التي نراها ونعيشها ونحسها.. يعيد هو ويؤلف ويشكل من جديد زوايا وابعادا لا حصر لتنوعها واختلافها ، واديب العزلة لا يمكنه ان يلاحظ هذا التنوع والغنى والعمق في حياة الاخرين ،ورفيقه الوحيد هو الكتاب الذي لا يغنى أبدا عن التحسيس بمشكلة معاشة ، او بصبابة .. او ببراءة طفل .!

ويتحول الفنى فيه الى قحط وتوتر .. ويخرج الى العالم الادبي كتاب اسود يخلو من المحبة ، وكله رعب وتصور مخيف للعلاقات والمعاملات البسيطة بين الناس ... وقد ادى الوضع المادي السيء بكثير من المفكرين الشبان الى الالتجاء للصحافة كمنقذ لهم ، وقد اكملت الصحافة المهمة القاتلة التي بدأها الوضع المادي السيء .. وهو امتصاص هؤلاء المفكرين للنهاية ..! فالصحافة تخاطب غرائز الجمهور ، فتقدم له الخبر السياسي باللون الاحمر ، والبند العريض .. وتقدم له الصحيفة الادبية بنفس اللون المثير ، مشتعلا من الداخل ، فنقرأ اقاصيص فاضحة ، واخبارا مفزعة ..

والظاهر ان رؤساء التحرير فطنوا الى كلمة البير كامو الذي يقول عن الناس في شرقنا انهم محتاجون الى من يخاطبهم بالتهويل والمبالغة والافراط في تزيين الكلام ، لان ذلك فقط هو الذي يقهر لامبالاتهم !.

وهذا التحول الى الصحافة يماثل بالضبط تحول المسرحيين الامريكيين من كتاب المسرحية الجادة ، الى كتابة الاستعراضيات الجسدية المثيرة لمسارح برودواي ، كسبا لقليل من المال يقيم الاود ..

ان المفكر يفتقد الامل الذي لا بد منه ، كي يمكن الصمود ضد مخاوفه وتعاساته ، ويفتقد التشجيع من الجمهور ، لان الجمهور غارق الى اذنيه في مشكلاته المعيشية ، ولانه مبتور الثقافة ، وناقص الوعي ..

وفي وضع كهذا تصبح مطالبة المفكرين بقليل من الصلابة عملية في منتهى الاستحالة والمرارة بالنسبة لهم.. فقليل جدا من الممتازين يصلون بمساعدة حظ سماوي ، وسط ظروف مادية متعسرة ، الى الابقاء على حساسيتهم الفنية ، وكثير جدا من الممتازين يفقدون هذه الحساسية لانهم فقدوا أحيانا قدراتهم ، واحيانا مساعدة حظوظهم .. فلكي لا يترك الامر الى المصادفة والى حسن الحظ ، لا بد ان يعمل المفكرون على ان تكون ظروف المفكرين الشبان اقل تعاسة ، واقل تعذيبا ، وذلك يفترض اجماعا على الرأي ومطالبة ملحة دؤوبة ...

مسئولية النقاد

الناقد عنصر تقييمي ، والمفروض فيه ان يكون حياديا ليخلص من اوشاب الاحكام غير المخلصة ، والمنافقة ، ومحاولة كسب الادباء الاخرين .. غير أن نقادا بعينهم هبطوا بهذا الفن البنائي الجاد الى مستوى المداهنة والرياء المكشوفين ، فهم يختارون كتابا في نفس لونهم النظري ، ويعظمونهم ويطنطنون لهم ، ويقيمون لهم التماثيل ، ويطلبون لهم تقدير الدولة .. ويطالبون كل كاتب شاب بأن يحذو حذوهم وان يكتب بطريقتهم لضمان الخلود والعظمة ... وفوجئنا حتى الارتياع بتيار متلاحق من القصائد المتشابهة والمتماثلة ، وتيار آخر من القصص القصيرة المتماثلة جدا لدرجة يتعذر معها الوصول الى الاصل ... وكانت هذه هي الآفة الاولى ، اما الثانية فكانت انحس من ذلك ، فبعد هذه التقييمات المتسرعة صمت هؤلاء النقاد واستكانوا ، فكأنهم وضعوا نظرية خالدة للادب في كل العصور وكل الازمنة .. وضعف امل الكاتب الناشيء في الوصول، بل وفي بعض الاحيان تبخر هذا الامل كلية ..

النقاد عندنا ينتظرون الصدور الصدفي لرواية او قصة ، ليبدأ قلمهم في المهاجمة او الاستحسان ، اي ان التقعيد النظري غير موجود بتاتا .. وكل صور النقد لبلابية متسلقة تنتظر حماية الاشجار لاحتضانها... ويسقط هذا اللون النقدي اما في رصد الجمالية .. واما الى تحسس الاخلاق .. والعمل الفني حين يرصد من زاوية واحدة يصبح عملا لا مزيد لروعته ، القلق في هاملت ، الغيرة في عطيل ، الصراع في اوديب.. ويصبح العمل الفني تقريريا جدا لدرجة اننا ننسى فنيته وانسانيته ، ونهرع فورا الى لقاء ما قرره النقاد فيه قبل ذلك .. فمن منا قرأ الدون كيشوت بدون فكرة مسبقة عن سذاجته .. ؟! ولذلك كنا نقلب الصفحات في لهفة بحثا عن هذه السذاجة بالذات ، وضاعت من أيدينا فرصة اكتشاف الف حادثة رائعة في بقية الرواية ..

الناقد عندنا يؤلف النظرية النقدية ، ثم يحاول ان يطابق بينها وبين الاعمال الفنية الاخرى .. ويا ليته يؤلف النظرية ذاتيا ، انه غالبا ما يستعيرها من الغرب الجاهز .. ويحدث واحد من اثنين : يراعى الادباء في اعمالهم القادمة انطباقها على المقررات المنقولة والتي عرضها الناقد، او تتحطم الصلة بين الكاتب الابداعي والناقد ...

فالنظرية المقتبسة من الغرب ثوب واسع وفضفاض ومترهل فوق جسدنا الصغير الناشيء ، فهي ليست فكرة عن الكواكب مثلا .. انها نتيجة تطور ودراسة ومفهوم مجتمع معين في ظروف معينة ، ولا يمكن لمجتمع ناشيء ان يهضم أفكار مجتمع حضاري سابق .. ونتيجة لذلك يصبح النقاد في واد والمبدعون في واد آخر .. .

النشاط الثقافي في الوطن العربي

ان امام الناقد فرصة اكتشاف نظريته النقدية من دراسة ظروفنا الاجتماعية ، واعمالنا الفنية ومقدار استجابتها لقدراتنا ونسيجناالحيوي، ويكفي ما نقلناه للان من نظريات اثبتت جمودها ولا طواعيتها بالنسبة لدنيانا في الشرق ...

اننا نستورد اللوحة التي كلها خيوط وخطوط ورموز وكلام فارغ ونعرضها على ريفي من شرقنا .. ثم نحاول عبثا اكتشاف فرحة اللقاء في عينيه ..!! ابدا سيظل يجهل خطوطها ومعناها لانها تكلمه بالافرنجية .. وهو لا يعرفها ، ولم يسمعها !!!

ليس الاخلاص ، ميزة اساسية نطلبها في الناقد ، ان عليه ان يعرف مدى ما نريد منه بالضبط .. وفي ظروف كظروفنا التعسة يصبح عبثا ومكرورا ان نطلب اليه ما يعرفه هو بالذات ويتجاهله !!

مسئولية الناشرين

الناشر تاجر يرغب بالربح ، ولا يمكنه ان يفكر في مغامرة مالية سيئة النتائج ، ولذلك يفكر في مشروعات حسنة ، فيعتمد على الاسماء الكبيرة، والمشاهير من الكتاب ، ليامن الخسارة ... وهذا موقف طبيعي تماما كموقف المنتج السينمائي ، وبائع الخردة .. فالناشر يعرف القاريء تماما، ويعرف انه يبخل بالمال من اجل اكتشاف كاتب جديد ، وهو يفضل الف مرة ان يقرأ لكاتب يعرفه على ان يخوض مغامرة مجهولة النتائج مع كاتب ناشيء .. ومن اجل ذلك بالذات كنا نفترض ان يكون الناشر على قدر من الوعي ليختار هو بنفسه الكتاب للجمهور !!.. غير ان حاستـه التجارية وتطلبه للربح يقلبان وضعه ، فبدل ان يكون بروميتوس ، يصبح شايلوك ممتازا ..!! ان السوق الادبية ، كسوق القطن تماما ، فيها الارتفاع وفيها الانخفاض ... ومن اجل ذلك يجلس الناشر بنظرات قطهرم ومدرب ، يلاحظ السوق ثم يهب فجاة لترجمة كتاب او طبعه ... يعرف مقدما مقدار الربح العائد عليه منه . وهذه العملية الطبيعية، تصبح مؤسفة النتائج بالنسبة للوضع الادبي..

ان الناشر هو المنفذ والموصل لفكرة الكاتب الى الجمهور ، ووضع الامر كله في يديه يترك له الحرية في رفض الكتاب الذي يحلو له ، او التصريح بنشره وقد ادت هذه الحقيقة الخطرة باحدى دور النشر الاستعمارية الى ان تسيطر على ثلث الانتاج الادبي ، وتسخره لخدمتها ، وهذه الدار هي دار فرانكلين للطبع والنشر ، والكاتب الذي أوذي في حساسيته مرة او مرتين بعد نشر كتبه مستعد ليذهب الى ابعد مدى ليكفل لعمله الادبي النشر .

وقد مرت فترة بالناشرين كان يمكنهم فيها ان يدركوا الى اي مدى يفضل القاريء الحديث الكتب الجيدة ... والعميقة ، والى أي حد يسيغها ويرحب بها ، وقد كانت هذه الفترة قصيرة جدا ، ولكنها كانت كافية لذلك .. وهي الفترة التي تقدمت فيها دور النشر اللبنانية والسورية بمئات المؤلفات الفنية والنظرية المترجمة ، واغرقت السوق الادبية المصرية ، وما زال تاثيرها قائما للان ...

وفي تلك الايام صمتت دور النشر المصرية وقال الدكتور طه حسين كلاما يفهم منه ان بضاعة الادب انتقلت من القاهرة الى بيروت ، بيد ان هذه المظاهرة كانت قليلة الجدوى بالنسبة للناشرين وان كانت عميقة الاثر بالنسبة للمفكرين المصريين الشبان .. فقد امكن لهم ان يميزوا بين الغث والسمين ، والسطحي والعميق ، مما ارهق الناشرين المصريين وكبلهم ، فقد اصبح لزاما عليهم ان يقدموا اعمالا بنفس مستوى دور النشر اللبنانية ، او ان يتوقفوا الى الابد ..

ان الكسب المادي يعطل مشروعية اخراج الكتاب .. ولذلك يلجأ الغرب لمنع التاثير المدمر لهذه الظاهرة القائمة على المكسب على حساب الواقع الادبي ، الى تاليف لجنة للقراءة خاضعة ماديا لدار النشر ، وحيادية الذوق فعلا ... ويمكنهم بذلك ان يكشفوا عن عبقريات ناشئة تعطي للعالم قصصا واشعارا غاية في الابداع والعمق والجدية ..

مسئولية المترجمين وفوضى الترجمة

يعاني المترجم نفس الموقف الذي يعانيه الناشر ، ورئيس تحرير المجلة الادبية ، فلا بد ان يعطي ـ على اقل الفروض ـ تكاليف الترجمة جميعا ، وان يجد بعد ذلك ربحا يرضيه ، فهو يتشمم السوق الادبية ، ويدرك بغريزته الفاحصة مدى تطلب المثقفين للكتاب المترجم ، وعادة ما يكون مدرسيا ، فطلبة الجامعة يشكلون سوقا غاية في الضمان بالنسبة للمترجم، وتختلط سوق الترجمة ، فها هنا كتاب في النقد الادبي سيء الترجمة لدرجة اننا كنا نحسبه كتابا في المعادلات .. وها هنا مسرحية يتيمة ليوجين اونيل ، المسرحي الذي لا تكفي قراءة مسرحياته جميعا للوصول الى صفائه وفنيته النادرة .. فضلا عن مسرحية واحدة .. وهي بعد ذلك ليست افضل مسرحياته .. ومسرحية اخرى لويليامز ، لكان الادباء محتاجون فقط الى عمل واحد من كل فنان غربي ليمكن الحكم عليه ..

وهكذا نفذ المترجمون الكلمة الجميلة : من كل بستان زهرة !! نفذوها بحذافيرها ..!!

واشترك المترجمون في عمليات مضاربة ، بالاتحاد مع الناشرين ، تبغي مضاعفة الربح وتوسيعا لمصدر الامتصاص ... ووقف الجمهور ، وفي عيونه دهشة المخدوع ، يلاحظ عمليات التهريب الذهنية هذه ، بدون ان يمكنه حتى ان يصرخ : قفوا ...!!

وفي غمار هذا التكالب المعيشي الخانق ، تصدر كتب قوية مختارة بعناية ومترجمة بعناية ، غير انها لسوء الحظ كتب نظرية وفلسفية ونقدية ، مما يوقعنا في التزيي بلباس فضفاض ومترهل ... اننا نحتاج ترجمة الروايات الطويلة التي اثرت في الادب الاوروبي العملاق ،ونحتاج ترجمة منظمة للمسرحيات العظيمة الراهنة التي تمثل الان فوق خشبة المسارح في بودابست ولندن وباريس وبرلين ونيويورك وموسكو .. وكافة المدن المتحضرة ..

اننا لفرط فقرنا المسرحي نعيد في كل موسم اخراج (سيرانو دي برجراك) و (المريض بالوهم) كان لا وجود لمسرحيات أخرى ، والنتيجة الحاسمةلهذا الفقر هو اختفاء المؤثر الضروري في ارتفاع مستوانا الفني.. وهو هضم فنية الغرب ، وليس فلسفاته ونظرياته النقدية ..

كم من كتابنا المسرحيين يعرفون أخطاء سترندبرج الحيوية ، او المميزات الخارقة لميترلنك ، كم منهم من درس بريخت ونهجه الرمزي الغريب ؟!.

وفي مقابل ذلك نعترف بمنتهى الخزي ، بان الكتاب الوحيد الذي قدم

في فن المسرح ، هو كتاب موعز به من السلطات الادبية الامريكية الممثلة في مؤسسة فرانكلين !..

مسئولية البرنامج الثاني

يقدم البرنامج الثاني الاذاعي الوانا لا حصر لها من المؤلفات الموسيقية، والمسرحيات والقصص القصيرة والاحاديث الاذاعية ، كل ذلك بدعوى التعدد وفائدة ذلك في فتح المجال امام المستمع للاختيار ، وذلك مستوى خاطيء، ونهج بعكوكي .. فان التقديم غير المنظم للفنون على هذه الصورة يجعل الغاية امام المستمع هي التسلية وحسب .. فلو كان الجمهور الموجه اليه هذا البرنامج متعدد الامزجة ومختلف المشارب لجاز ان يكون التعدد اللوني صوابا ... اما والجمهور هو خاصة المثقفين والمفكرين ، فلا بد ان يتجه البرنامج وجهة منظمة مدعمة بالدراسات والمناهج لمكن السيطرة على توزعه وانفلاته ..

وبدل ان يأمل المشرفون على هذا البرنامج ان تؤثر مقرراته في اذهان الشبيبة الناشئة ، يمكن لهم بقدر من الوعي والنظام ان يضيفوا الى هذه النتيجة ، نتيجة اخرى وهي ان يشهدوا بانفسهم مقدار الاثر الذي يتركه البرنامج الاذاعي الثاني في اذهان المفكرين المعاصرين ..

فاولا ، ليست الساعات القليلة الممنوحة للبرنامج قليلة الاثر وحسب بالنسبة للمفكر ، انها محاولة للضغط على اعصابه بصورة ثقيلة، فالمطلوب منه ان يربح كل كلمة وكل جملة .. مع الاعتراف بان مسرحيات تقدم محتاجة الى ساعات من المتابعة والجهد العقلي اثناء قراءتها ، لانها مسرحيات ذهنية بالدرجة الاولى، كمسرحيات البير كامو ، وجان انوى.. فما بالك وكل جملة تقدم في سرعة الديالوج العادي ، وفي طيها جملة اخرى ... ثم ثالثة تحتاج كل واحدة منها الى دقيقة تفكير ..

اما كان الافضل ان تجمع اعمال البرنامج الثاني كل شهر ، في كتيب صغير يعود بالفائدة ، حتى على الادباء الذين لا يملكون اجهزة راديو ؟..

ومن ناحية اخرى اقتصرت بعض البرامج على تقديم بعض الاسماء بصورة دورية منتظمة ، كان هذه الاسماء هي الممثلة الوحيدة لجانب اختصاصها ، فسمعنا كثيرا احكاما معادة ، وعبارات بعينها سمعت في احاديث سابقة ..

ولاحظنا ان نقادا مخلصين ومثقفين وجادين نحوا عن بعض البرامج لاسباب نجهلها وظروف لا ندرك كنهها ..

ومع اعترافنا بعبقرية حسين فوزي الموسيقية ، الا اننا كنا نفضل لو ترك امر الموسيقى للجنة خاصة ، فان تطبيق الذوق الشخصي على جماعة متنافرة الذوق ، يؤدي غالبا الى نفور عدد كبير من الجماعة ، وايثارهم السلامة بالعودة الى البرامج الاوروبية الموسيقية ، فالملاحظ ان الدكتور يميل جدا الى تقديم المقطوعات الصغيرة (الرباعيات . الخماسيات . الاوتيد . السونات) وهي ارقى الوان الموسيقى الغربية ويتطلب ، تذوقها جهدا اكبر واعنف من الجهد المبذول لمتابعة كونشرتو او سيمفونية ... فلتلك الاعمال الصغيرة خاصية نفسية عجيبة ، هي احتفالها بالحنو الفردي وبالشجن والتعاسة والفرح الذاتي ، وهي تهتم بابراز ذلك عن طريق الثقل الميلودي .. في حين يؤدي التعدد الى الانصياع في السمفونية.. الى الانصياع والقبول ، ثم الوصول الى النشوة المقصودة ...

فالرنين الايقاعي من جهة ، والميلودي الذي ينفرد ويتجمع ويتمايز ، والتطور اللحني من جهة اخرى ، يجمدان المستمع في اسر الموسيقى ، في حين تترك الاعمال الصغيرة ذلك المستمع يبدد كبرياءه في لا غاية ..! وكثير جدا ان يكون مطلوبا من المستمع المصري ان يكتسح حتى النظام الغربي في التذوق ، ليدرك ابعاد المقطوعات الصغيرة ... وهذه احدى اخطاء ترك الذوق الشخصي ليتحكم في مجموعة المستمعين ..

ان البرنامج الثاني يحتاج الى عدد اضافي من الساعات ، والى تخطيط ومنهاج اكثر من احتياجه الى تعبئة كل هذا القدر من المواد وتركيزه في الساعات القليلة الممنوحة له..

مسئولية القراء

يعرف الغرب تماما مدى ارتباط القاريء بالجريدة ، ويدرك انها الموصل الاساسي للثقافة اليه ، ويصدرون في معظم مشروعاتهم النشرية عن هذه الحقيقة ، غير انهم في الوقت الذي يوصلون اليه الخبر العادي ، يجهدون في تطعيمه بالمقال الدراسي العميق ، والقصة الجيدة ، وهم يحاولون الوصول اليه عن طريق دراساتهم في سلوكه ، ونفسيته ، فهم يقدمون له الملاحق الادبية الدسمة في اصابيع الاحاد ، لعلمهم بان هذه الفرصة هي احدى الفرص النادرة والقليلة للوصول اليه في قمة صفائه العقلي والبدني ... ذلك لان الاحد هو يوم عطلته الاسبوعية ، اما عندنا فتقدم الجريدة لنا ، ولمنافسة تجارية ليس الا ، عددا أسمك حجما من الاعداد العادية ... وبمنتهى الاحكام السيكولوجي.. في صباح السبت (!)!

اما الملاحق الادبية فلا يفكر اصحاب الجرائد في قيمتها بدعوى رفض القاريء لها ... ولعلهم مخطئون في ذلك ، فاذا استطاعوا الرجوع باذهانهم قليلا في تاريخ صحافتنا امكنهم ان يجدوا شاهدا في جريدة يومية كانت لها صحيفة ادبية يومية ، وكانت ـ وقتها ـ المع الجرائد واشدها شعبية .. .

ليس القاريء تمثالا فاضحا .. انه رجل وادع هادىء واخلاقي ،واللون الذي تتقدم به الجريدة لاقناعه لون يمجه هو ويسأمه ، ولكنه مغلوب على امره لان جميع الجرائد تفعل ما تفعله جريدته المفضلة ، وهو لذلك يقنع بمجاراة العام ويفقد اصالته الاخلاقية ..

أكانت الجرائد تبور تجاريا ، لو أوقفت سيل حوادث الجرائم والاغتيالات والسرقات التي تطالعنا بها صباح مساء ؟. أكانت مجلاتنا الادبية تكسد لو أوقفت نشر صور النساء عاريات الصدور والافخاذ ؟!. ان رؤساء تحرير مثل هذه المجلات يدعون ان موت الرسالة والثقافة كان بسبب من ذلك .. أي بسبب تزمتها وصرامتها .. وهذا عذر واضح التلفيق، فالسبب الحقيقي هو عجز هاتين المجلتين عن رصد واقعنا الثقافي وعودتهما الى القديم البالي وتأكيدهما على الروح الكلاسيكية التي كانت خامدة المفعول على حين تطور الوضع الفكري قافزا .. ومما يؤكد بعد هذا العذر عن الحقيقة ، ثبات مجلتي الاداب والثقافة الوطنية البيروتيتين برغم تحجبهما الاخلاقي. .

فالقاريء بعيد عن الخبث الفني الذي يصفه به رؤساء تحرير المجلات الادبية والجرائد اليومية ... فقط قدموا له غذاءه الجيد وطوروه ... ثم قولوا بعد ذلك ما تشاءون !..

ان المسئولية الواقعة على عاتق القاريء هي ملاحظة هذه الدوامة ، والتأكيد على ان تتآزر المسئوليات السابقة وتترابط .. فوعي الجمهور

النشاط الثقافي في الوطن العربي

ليس عملية ذاتية .. انه نتيجة نوعية الادباء والنقاد ، ونتيجة تعميق اختيارات الناشر وتنظيم الترجمة ، ونتيجة لعملية التطوير التي تقدمها الجريدة .. فالوعي المفترض للجمهور هو وعي بعدي . مرآوي . عاكس !!

ان القارىء انسان خام ، قابل ابدا لان يتشكل حسب القالب المطلوب ، فيمكن لجريدة حقيرة ان تجعل منه مجرما خطيرا ، او سارقا حقيرا .. او على الاقل مشكوكا في حماسه الاجتماعي .. كما تفعل دار كبرى ما زالت تنفث سمومها في واقعنا الفكري النيء ، ويمكن للجريدة ان ترفع من مستوى القارىء العادي وتثقفه تدريجيا ، وهي الصورة التي نطلبها من جرائدنا ونحاول تلمسها عبثا ..

فمسئولية القراء لا يمكن ان تقف وحدها معزولة عن مسئولية الكاتب والناقد والصحفي ... وفي خضم تيار مندفع الى الشمال لا يمكن ان نطلب من زورق هش ان يتجه ببساطة الى الجنوب .... ان القارىء المسكين لا يمكنه ان يقاوم التيار وحده ، فلا بد ان يرتبط الكاتب بالقارىء لينشأ من هذا الارتباط ، الوعي المفترض . .

مهمة الاتحاد العام للادباء

وفي هذه الظروف الضبابية نجد ان فكرة تكوين اتحاد عام للادباء هي فكرة مثالية وقوية للنهوض بهذه الاعباء التي تؤخرنا وتؤخر تطورنا وتقدمنا الفكري فمن حسنات هذا الاتحاد شجبه للتكتلات الادبية في بعض المقاهي والاندية ، وقطعه لدابر المعسكرات الفكرية التي لها المشاحنات الشخصية والبغض والحسد ...

والمفروض طبعا ان يحظى هذا الاتحاد بمعونة مادية من الدولة ، يمكن عن طريقها اصدار مجلة فكرية قوية تعوض عن اختفاء الكاتب المصري المجلة التي اثرت عميقا في نخبة من مثقفينا وادبائنا الشبان وتتيح الفرصة امام الكتاب الشباب لتقديم اعمالهم ومؤلفاتهم ، ويمكن ايضا المساهمة في دار للنشر تشرف عليها الدولة وتتولى اصدار الكتب وطبعها وذلك لواد الفكرة التجارية لدى الناشرين في مهدها ، وذلك مع قيام لجان خاصة للقراءة واصدار الاحكام على المؤلفات المقدمة ..

ولا يمكن ان نتجاهل التاثير القوي لمنبر الاتحاد وما يؤديه ذلك من نوعية وتعميق للتيار الادبي وتحويل له من السطحية التي يغوص فيها الى لون من الجدية يزرع فينا الشعور باهمية وجدوى الفنون في التطوير والنوعية .

ان الكاتب المبدع لفرط شعوره بلا جدوى عمله الفني ، يتحول بالضرورة الى كتابة المقالات والابحاث ويسهم في تثبيت هذا التحول الشائك ، اختفاء الاسس النظرية والفنية في جانب اختصاصه الفني ، فما من مؤلف جدي واحد يمكن ان يكون خلفية ثقافية لكاتب الرواية الطويلة ، وكذلك الدرامائي الذي يتحول ويؤلف على غرار احدث المسرحيات الامريكية .

ان كتابنا يحسون بهذا النقص الثقافي الخطير ، فيحاولون تعويضه عن طريق التزود بالثقافة الغربية الصرفة ، وذلك يوقعهم في مشكلة النقل الحرفي ، بدون ان تكون هناك تجربة مشاركة بين العمل الفني الذي يتاثرون به ، وبين واقعنا الاجتماعي ، فتصدر اعمال على غاية من البراعة الفنية احيانا ، ولكنها خالية من دم الشرقي واعصابه .. .

اننا نظن ان ارادة الفنان الشخصية هي كل شيء . نظنه واجبا ان يتقدم الفنان وسط تعاسة الوضع المادي المذل ، ووسط عشرات العذابات النفسية والجسدية التي يظل خائضا في همومها باعصابه وجفون عينيه في كل لحظة حتى يصل الى الصف الاول .. اننا نظن ان الفقر هو النار التي تصفي معدن الكاتب وتصقله ، ونظن ان من الضروري جدا ان يخوض الفنان مذلة الحرمان والشظف ليمكن له ان يكون صادقا ودارسا وعارفا ...

غير اننا ننسى ان في مقابل الواحد الذي يصل الى الصفوف الاولى بالرغم من سوء الظروف ، وبمساعدتها الخارقة احيانا ، الفا من الفنانين الاخرين قتلتهم هذه الظروف نفسها واعدمت فيهم حسهم الفني وحولته الى التجارة احيانا والى الحسد في غالب الاحيان . اننا نود ان نرى نظاما يكفل للادب ان يعيش بفكره ، وليس صدقة تمنحها له الدولة في شيخوخته ...

فالادب حرفة موهوبة ، كالحدادة والنجارة .. فكما تكفل للتاجر وللحداد الارض الموائمة ليتعيشا ، لا بد ان يطالب المفكرون بارض مناسبة يمكن لهم في حدودها ان يقدموا انتاجهم ومؤلفاتهم ..

اننا نريد ان نشم وان نعيش وان نتنفس وان نشعر وان نقرب الى صدورنا اعمالا فنية شرقية ما زالت ماثلة ضمن آمالنا ، ومقتولة في صدورنا . نريد ان نرى ابطالا تستعير وجوهنا وافعالنا وحساسيتنا وليطمئن كتابنا .. فما استطاعت الاعمال الفنية العظيمة في الغرب ان تحظى الا بصداقتنا واعجابنا .. واما التقديس والفوز باملنا وروحنا وخلودنا فنحتفظ بها للكاتب العربي الذي يمكن له ان يخلص ذاته من حدود الركاكة ، وان يمنحنا عطاء حياتنا ، وان يفتح العقول على عشرات الآفات التي تعطل مسارنا الفكري والاجتماعي وتحجره وتميعه ..

وفي مقابل ذلك ، وبعد ان لاحظنا ارتباط هذه الاسباب جميعا ببعضها وتسلسلها المنطقي والرياضي ، واتحاد كل بؤرة منها وتاثيرها في التالية لها ... لنامل في مقدرات الاتحاد العام للادباء ، وفي امكانياته وفي اخلاصه ، وفي ابتعاده عن الصغار الذي لاحظناه فيما سبقه من مشروعات اتحاد ، واتحادات متفرقة ..

القاهرة — **محيي الدين محمد**

ما هو الكتاب المقدس ؟

يبحث بحثا علميا تاريخيا في قصة الخليقة واسفار التوراة والاناجيل الاربعة التي ترتكز عليها الديانة المسيحية

تاليف : دانيال روبس

تعريب : مخايل الرجي

نشر : دار المكشوف ، بيروت

النشاط الثقافي في الوطن العربي

الاقليم الشمالي

الشبان ... ومسؤولية البناء

لمراسل الآداب في دمشق

في الاقليم السوري حياة ادبية ذات ظواهر متعددة وعجيبة . ولعل اهم هذه الظواهر ان النتاج الادبي وقف على الشبان في كثرته الغالبة ، ولعل الشبان هم الوحيدون الذين يتجاوبون مع تطورات الحياة واحداثها، ولعلهم وحدهم يقفون على مستوى التقدم السريع الذي تسير فيه جمهوريتنا وشعبنا .. وان من ينظر في كتاباتهم يعرف مدى الحساسية التي يتمتعون بها وعمق الوعي الذي يواجهون به العالم . فقبل الوحدة العربية بين الاقليمين الشمالي والجنوبي كان الشيوعيون متكتلين في « رابطة الكتاب العرب » وكانوا يستفيدون من دعم بعض السلطات في مد نفوذهم الادبي وفرض سيطرتهم على وسائل النشر الرسمية كالاذاعة والدعاية وعلى وسائل النشر غير الرسمية من صحف ومجلات .. وكان الناس المسمون « ادباء » في ذلك العهد يتعاونون معهم او يسكتون عنهم لعدة اسباب احدها فقدان الشخصية القوية التي تعرف ما تريد وما لا تريد من المذاهب والاراء ، وبعض هذه الاسباب ايثار السلامة في كل عهد بحجة الزوجة والابناء والخوف على مورد الرزق ... وفي هذا الكلام ما فيه من تخاذل وفقدان الكرامة ، والجهل برسالة الاديب . ومسؤولية المثقف .. اما الذين قاوموا فهم الشباب فقط . وقد اتخذت مقاومتهم اسلوبين : الاول هو الهجوم الصريح على الشيوعية ومبادئها مع خطر التعرض انذاك الى شتى الاتهامات . اما الاسلوب الثاني وهو الاعم الاغلب فقدكان الحديث عن حرية واسعة مشتتة ليست بذات مضمون . وكانت السمة التي تشمل هذا الادب سمة قلق عائم:تارة وجودي وتارة فوضوي.. وفي بعض الاحيان جنسي . وعلى كل حال لم يصمت واحد من الجيل الطالع .. اما الذين صمتوا فهم الموظفون.

وبعد الوحدة تعاظم واجب المثقفين وتكاثرت مسؤولياتهم تجاه الدولة التي اطلقت لهم حرية اتخاذ الموقف الذي يشاؤون .

لقد رفضنا الشيوعية وعلينا ان نختار النوع الذي يلائمنا من انواع الاشتراكية وبذلك وضع الاديب في كل لحظة موضع الخالق المبدع الذي يتوجب عليه دائما مواجهة ظروف جديدة بحلول جديدة . اننا نحن الادباء العرب ـ في موقف نحسد عليه من حيث متطلبات المواقف الخام . ولذلك يجب علينا دائما ان نكون مبتكرين ومناضلين ايجابيين في سبيل بناء دولة تخوض تجربتها الحياتية الاشتراكية بنجاح على هدي اراء مثقفيها . لقد آن الاوان كي يتسلم المثقفون من السياسيين زمام القيادة الفكرية . ان رئيسنا البطل العظيم قد طرح شعار « الاشتراكية الديمقراطية التعاونية » فكان له ـ كما عودنا دائما ـ مبادهة عظيمة في ميدان الفكر . وليس علينا الا ان نشرح هذا الشعار الخلاق الذي طرحه رئيسنا فنقوم بدور المساعد لهذا الباني الكبير الذي يتحمل عن افراد شعبه اعباء الفكر والمادة .

لقد انتهى عهد القلق .. واصبح الطريق واضحا . ان واجبنا الاول هو ان نكون ايجابيين .. لقد رفضنا الشيوعية ، ولكن علينا الا نكتفي بالرفض .. بل نعني بروح وثابة تتعاطف مع احلام العالم في الخلاص من تفسخ الراسمالية وارهاب الشيوعية . واعتقد ان الشبان هم الذين سوف يقومون بدور البناء فقد دلت جميع الاحداث ان الكبار في السن لا يرتجى منهم خير كثير .. لقد انتهوا سواء قدموا شيئا ام لم يقدموا ... ولكي لا يكون في حديثي شيء من التحامل سوف اقدم للقراء عرضا لما قدمته الصالونات الادبية في الفترة التي احتفل شعبنا اثناءها بمناسبة الوحدة: فقد اقتصر عمل هذه الصالونات ـ و « الادباء » هم كثرة اعضائها ـ على احياء حفلات ساهرة يستمعون الى الغناء ويستمتعون بالرقص ويشاركون في التصفيق بمناسبة وبغير مناسبة !

فهل جادت مواهب احدهم بتمثيلية او رواية ؟ وهل حفزت الذكرى العظيمة فكر واحد منهم لكتابة بحث عن مستقبل الجمهورية او ماضيها او مشروعاتها او اقتراح يقدمه في سبيل اصلاح امر من الامور او احداث مؤسسة او تنشيط ناحية من نواحي الحياة الاجتماعية او الفكرية او الفنية ؟ ام انه يعتقد اننا توصلنا الى الكمال الذي ما بعده مطمح لطامح ولا مجال لعامل ؟

ان قيام دولة جديدة عربية قد طرح الى الوجود الفكري في العالم كله امكان ووجوب انشاء شخصية انسانية جديدة .. فمجتمعنا المقبل سوف يقوم على التصنيع ، وسوف تكون الكثرة الغالبة من المصانع ملكا للدولة.. اي ان ريعها وربحها لابناء الشعب الذي يشتغل فيها ويدفع ثمنها من جيبه على شكل ضرائب . وهذه ـ اي ملكية الدولة لوسائل الانتاج ـ فرصة عظيمة وهبتها لنا ظروف نهضتنا ، وذلك يسهل علينا بناء دولة اشتراكية حرة تؤمن الرفاه للطبقة العاملة التي سوف تنشأ وتنمو وتتعاظم قوتها باستمرار .

وعلى المثقفين في كل هذه الظروف ان يخلقوا نظاما ديناميكيا مرنا يساير القفزات السريعة الواسعة التي سوف يخطوها مجتمعنا . ونحن ان استطعنا ان نضمن انشاء نظام تسيطر فيه الدولة على ما تبقى من راس المال الفردي ولا تدع اية سيطرة للممولين على الحكومة او العمل .. ان نحن استطعنا ذلك ضمنا انشاء مجتمع صناعي متطور في ظل اشتراكية ديمقراطية تتعاون فيها مختلف الطبقات . وبذلك نحرر ضمير الفرد وننمي الوجدان القومي بدل ان نصهره في بوتقة اممية . كما اننا نترك المجال لديمقراطية حرة تزدهر فيها مختلف الاتجاهات الفكرية ضمن وحدة عميقة تنبع من جوهر وجود الشعب العربي .

اننا نحارب كل اتجاه يدعو الى صهر الفرد ضمن المجموع . بل اننا ننادي على الدوام بترك الشخصية الانسانية تزدهر الى اقصى مدى تتفتح فيه .. وبذلك نساهم في تحرير الانسان ونخدم الحضارة ونستعيد امجادنا التليدة . ونقضي ـ بشكل غير مباشر ـ على النزعات الاجنبية التي يحاول بعض الخونة والاتباع ان يبثوها في شرق الوطن العربي وغربه . ان السبيل الوحيد لكسب المعركة بين مختلف الاتجاهات هو ان نكون ايجابيين وان يكون بناؤنا متينا وكثير النوافذ . وهذه امور تلقى تبعاتها على الجيل الناهض من الشبان لان الشيوخ فيما يظهر قد تخلوا عن المعركة من قبل ان يخوضوها .

دمشق — محيي الدين صبحي